

تفسير البحر المحيط

@ 351 @ أربعمئة سنة . والصحيح أنه غيره . وقيل : كان اسم فرعون يوسف الريان بن

الوليد . . .

{ يَسُومُونَكَ } : يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة ، وهي حكاية حال ماضية ،

ويحتمل أن تكون في موضع الحال : أي سائميكم ، وهي حال من آل فرعون . { يَرَوْنَهُ

الْعَذَابَ } : أشقه وأصعبه وانتصابه ، مبني على المراد بيسومونكم ، وفيه للمفسرين

أقوال : السوم : بمعنى التكليف أو الإيلاء ، فيكون سوء العذاب على هذا القول مفعولاً

ثانياً لسام ، أي يكلفونكم ، أو يولونكم سوء العذاب ، أو بمعنى : الإرسال ، أو الإدامة ،

أو التصريف ، أي : يرسلونكم ، أو يديمونكم ، أو يصرفونكم في الأعمال الشاقة ، أو بمعن

الرفع ، أي يرفعونكم إلى سوء العذاب ، أو الوسم ، أي : يعلمونكم من العلامة ، ومعناه :

أن الأعمال الشاقة لكثرة مزاولتها تصير عليهم علامة بتأثيرها في جلودهم وملابسهم ،

كالحدادة والنجارة ، وغير ذلك يكون وسماً لهم ، والتقدير : يعلمونكم بسوء العذاب .

ضعف هذا القول من جهة الاشتقاق ، لأنه لو كان كذلك لكان يسمونكم ، وهذا التضعيف ضعيف

لأنه لم يقل إنه مأخوذ من الوسم ، وإنما معناه معنى الوسم ، وهو من السيمياء ،

والسيماء مسوّمين في أحد تفاسيره بمعنى العلامة ، وأصول هذا سين وواو وميم ، وهي أصول

يسومونكم ، ويكون فعل المجرد بمعنى فعل ، وهو مع الوسم مما اتفق معناه واختلفت أصوله :

كدمت ، ودمثت ، وسبط ، وسبطر ، أو بمعنى الطلب بالزيادة من السوم في البيع ، أي :

يطلبونكم بازدياد الأعمال الشاقة . .

وعلى هذه الأقوال غير القولين الأولين يكون { سُوءَ الْعَذَابِ } مفعولاً على إسقاط حرف

الجر . وقال بعض الناس : ينتصب سوء العذاب نصب المصدر ، ثم قدره سوماً شديداً . وسوء

العذاب : الأعمال القذرة ، قاله السدي ، أو الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك ، قاله

بعضهم . قال : وكان قومه جنداً ملوكاً ، أو الذبح ، أو الاستحياء المشار إليهما ، قاله

الزجاج . ورد ذلك بثبوت الواو في إبراهيم فقال : ويذبحون ، فدل على أنه عذبهم بالذبح

وبغير الذبح . وحكي أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً في الأعمال من البناء والتخريب

والزراعة والخدمة ، ومن لا يعمل فالجزية ، فذوو القوّة ينحتون السواري من الجبال حتى

قرحت أعناقهم وأيديهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها ، وطائفة ينقلون له الحجارة والطين

ويبنون له القصور ، وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر ، وطائفة نجارون وحدادون ،

والضعفة جعل عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم . فمن غربت عليه الشمس قبل أن تؤديها

غلت يده إلى عنقه شهراً . والنساء يغزلن الكتان وينسجن . وأصل نشأة بني إسرائيل بمصر
نزول إسرائيل بها زمان ابنه يوسف بها على نبينا وعليهما السلام . .
{ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ } : قراءة الجمهور بالتشديد ، وهو أولى لظهور تكرار الفعل
باعتبار متعلقاته . وقرأ الزهري وابن محيصن : يذبحون خفيفاً من ذبح المجرد اكتفاء
بمطلق الفعل ، وللعلم بتكريره من متعلقاته . وقرأ عبد الله : يقتلون بالتشديد مكان
يذبحون ، والذبح قتل ، ويذبحون بدل من يسومونكم ، بدل الفعل من الفعل ، نحو : قوله
تعالى : { يَلْأَقِ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ } ، وقول الشاعر : % (متى
تأتنا تلمم بنا في ديارنا % .
تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا .
%)

ويحتمل أن تكون مما حذف منه حرف العطف لثبوته في إبراهيم . وقول من ذهب إلى أن
الواو زائدة لحذفها هنا ضعيف . وقال الفراء : الموضع الذي حذفت فيه الواو تفسير لصفات
العذاب ، والموضع الذي فيه الواو يبين أنه قد مسهم العذاب ، غير الذبح ، ويجوز أن يكون
يذبحون : في موضع الحال ، من ضمير الرفع في : يسومونكم ، ويجوز أن يكون مستأنفاً .